من سير الرجال

حسن حسني الطويراني

الصحافي الأديب الشاعر

١٨٥٠ — ١٨٩٧ ميلادية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

سأل الأديب علي الشوكاني من بغداد في العدد (٥٤٤) من الرسالة عن الصحافي الشاعر حسن حسني الطويراني ، ورجا من قراء الرسالة أن يتفضل أحدهم بأن يروي قصة هذا الشاعر المغمور (في نظر السائل المحترم)

وعجيب جداً أن يُنسى أديب عربي مشهور ، وصحافي ذائع الصيت ، وشاعر قوي العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خبّ المطيُّ به عشرات القرون ؟

ولعل للسائل عذراً في ذلك ، فنحن هنا ـ أعني في الشرق ـ ننسى ونتمنى في النسيان حتى يفتح الله علينا برجل غربي مستشرق ينبهنا ويوقظنا من غفلاتنا الطوال ، ويأخذ بأيدينا ـ أو بيده هو ـ على مواضع من تاريخنا وسير رجالنا ... والأمثلة على ذلك كثيرة

على أن للسائل الفاضل فضلاً في سؤاله ؛ فقد أتاح لي فرصة للتعريف برجل كاد النسيان يطوي مساحبه على ذكره ، لولا أشتاتٌ جمعتُها من هناك ومن هنا ، وتعبتُ فيها راجعاً إلى أكثر من كتاب ما بين (تاريخ الصحافة العربية) للكونت فيلب طرازي (والأعلام) للزركلي ، (وتاريخ آداب اللغة العربية) لجورجي زيدان (وديوان ولي الدين يكن) ، (وفارس الشدياق) للشيخ بولس مسعد (وديوان العقد) للشيخ ابراهيم اليازجي وغيرها

والمترجم له مصري بمولده تركي بأصله ؛ ويرجع إلى أسرة تركية كريمة تنتهي إلى علي باشا الكبير أحد أمراء الأتراك في مقدونية . ولقد شهدت القاهرة مولده سنة ١٨٥٠ ، كما شهدت القسطنطينية وفاته سنة ١٨٩٧ فعاش في هذه الدنيا سبعة وأربعين عاماً ملأها بالبحث والتحصيل في أول حياته ، والتأليف والتصنيف في بقية عمره ، وهو فيما بين ذلك يتنقل من أرض إلى أرض وتسمه بلد إلى بلد ؛ لا تثنيه مشقة في سفر ، ولا يصده عناء في رحلة . فطاف في كثير من بلاد آسيا وأفريقية وأوربا الشرقية ، ويعبر هو نفسه عن تطوافه بقوله :

شرّق النسر وغرّب وتركْ وتعـــرّبْ
فتحـــرى وتدرب وتفـاءى وتقرب
ولئن أطرى وأطرب فهـو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وهو في ذلك يذكرنا بالأعشى في قوله :

وطوفت للمـال آفاقه عمـان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشي في أرضه وزرت النبيط وأرض العجم

وفي سن الثلاثين كانت قد انعقدت له شهرة لا بأس بها في الشعر والأدب والكتابة ، فأقام في القسطنطينية وأخذ يحرر في صحفها المشهورة ما بين عربية وتركية ؛ فلقد كان بارعاً في اللغتين متفوقاً فيهما حافظاً للكثير من روائع أدبهما

وكان في الرجل نزعة دينية قوية فأنشأ في العاصمة التركية مجلة « الإنسان » سنة ١٨٨٤ ، وكانت تصدر في كل شهر مرتين في أربع وعشرين صفحة لخدمة الإسلام أولاً ، ولخدمة العلوم والفنون والزراعة والصناعة ثانياً ؛ ولكن الحوادث دعتها إلى الاحتجاب بعد أن ظهر منها ١٩ عدداً ؛ ولكنها عادت بعد سنة تقريباً إلى الظهور في شكل جريدة أسبوعية ، وظلت إلى سنة ١٨٩٠ ، حينما عطلها صاحبها بنفسه مختاراً ليعود إلى مصر مستأنفاً جهاده في سبيل الصحافة العربية

ومن الصحف التي حررها المترجم له في القسطنطينية جريدة « الاعتدال » ، وخاصة في أول إنشائها ، وجريدة « السلام » . والأولى كان يملكها أحد قدرى المترجم العربي للسلطان عبد الحميد ؛ والثانية كانت للحاج صالح الصائغ ، وهما عربيتان . أما الجرائد التركية التي اشترك في تحريرها ، فأهمها « ارتقا » و « زمان »

وكان للمترجم له نشاط عجيب فى إصدار الصحف وتحريرها كما كان نشاطه فى التأليف أعجب ، وما ظنك برجل صحافى يشتغل بالسياسة والتحرير ومشكلات عصره ، ويطالع قراءه كل يوم أو كل أسبوع أو أسبوعين بمقال فى الصحيفة التى يعمل فيها أو يملكها ؛ ثم يجد من الوقت ما يتسع لتأليف ستين كتاباً فى اللغة العربية وعشرة كتب فى اللغة التركية ؟ وبعض هذه الستين مطبوع وبعضها مخطوط ، وبعضها فى مجلد واجد وبعضها فى ستة مجلدات ، مثل كتابه « صولة القلم فى دولة الحكم »

ومناحى الرجل فى التأليف تدل عليها الروح الإسلامية القوية ، فقد كان مستقيم العقيدة متين الدين ، وكان فيه حكمة مضيئة ونظرة إصلاحية صحيحة . أليس من كتبه (النصيح العام ، فى لوازم عالم الإسلام) ؛ ثم ألا يذكرنا هذا الكتاب بكتاب الأمير شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) ؟ . وله فوق ذلك كتاب (الصدع والالتئام ، فى أسباب انحطاط وارتقاء الإسلام) ، وكتاب (الأخاء العام ، بين شعوب أهل الإسلام) . ولكن هذه الأخوة التى سعى إليها صاحبنا كانت فى ظل الحكم التركى حتى على قساوته وظلامه . فقد كان داعية له فى كل ما يكتب مدافعاً عنه فى كل مناسبة

فلما قام الشيخ إبراهيم اليازجى اللغوى المشهور فى الثورة العرابية المصرية داعياً إلى تنقص الترك والإشادة بذكر العرب فى قصيدته السينية المشهورة قام حسن حسنى الطوبرانى يرد عليه بقصيدة من البحر والقافية يقول فيها :

دع عنك خائنة الوساوس فالذل عاقبة الدسائس
واخش الكلام فكم جنت حرب البسوس وسبق داحس
ماذا تريد بشتمها دهياء توحش كل آنس ؟؟

ولكن قصيدة اليازجى كانت قاسية على الترك شديدة اللهجة ففيها يقول :

قوم لقد حكموا بكم حكم الجوارح فى الفرائس
كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع سائس
ويشوبكم برق المنى جهلاً وليل اليأس دامس
أو ما ترون الحكم فى أيدى المصادر والمكاس
وعلى الرشى والزور قد شادوا المحاكم والمجالس

وكان اليازجى فى أثناء الثورة العرابية واقفاً للترك بالمرصاد يحط من أقدارهم ويصف من أفعالهم ما يبغضهم إلى العرب . ولعل أعنف قصائد اليازجى — والشىء بالشىء يذكر قصيدته البائية التى يقول فيها :

أقداركم فى عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدى الترك مغتصبُ
فليس يدرى لكم شأن ولا شرف
ولا وجود ولا إسم ولا لقب
فيالقومى ؛ وما قومى سوى عرب
وان يضيّع فيهم ذلك النسب

والقصيدتان فى ديوان العقد لإبراهيم اليازجى ص ٥٦ ، ٥٩

وكان فى أخلاق الطوبرانى شدة وحدة فى المزاج ؛ ولعله رحمه الله كان قليل البقاء على حال واحدة ؛ فكنت تراه اليوم فى جريدة وتراه غداً فى غيرها ؛ لا تقلباً منه فى مبدئه ، ولكن تعصباً منه فى رأيه أو ترفعاً منه عن الزلفى لحاكم أو الخضوع لذى جاه ؛ وذلك هو السر فى تعطيل بعض الصحف التى أصدرها

ولا يزال سجل الصحافة المصرية — إن كان لها سجل ! — يذكر لصاحبنا جريدة « النيل » ومجلات « الشمس » و « الزراعة » و « المعارف » والأولى أنشئت فى القاهرة فى أواخر سنة ١٨٩١ أى بعد عودته إلى مصر من القسطنطينية بعام واحد ؛ أما الشمس والزراعة فقد أنشأهما سنة ١٨٩٤ . والثانية أسبق من الأولى ببضعة أشهر فى الظهور

كان لصاحبنا علاقات طيبة مع أفاضل الرجال فى زمانه كما كان له صلات ود مع أعظم الأدباء فى عصره ، ولم يكن فى قلعه تلك الصرامة والسلاطة التى امتاز بها رجل كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . إلا أن العلاقة بين الرجلين الكبيرين كانت أمتن ما تكون صلة ، وأحكم ما تكون ارتباطاً . فقد رثى الطوبرانى أحمد فارس الشدياق حين وفاته سنة ١٨٨٧م بقصيدة بائية من البحر البسيط وأرخ فى الشطر الأخير منها

وفاته سنة ١٣٠٥ من التاريخ الهجرى . كما نعاه فى مجلة (الإنسان) التى كان يصدرها فى القسطنطينية يومئذ فى عبارات من السجع الذى كان طابع الكتابة العربية فى ذلك الحين . إلا أنه فى بعض مواضع من النعى عاد إلى الكلام المرسل (غير المسجوع) كقوله فيه [حكيم السكوت وقور الكلام متواضع الجانب عميق الفكر قوى الحجة كبير الهمة ... إذا رأيته رأيت علماً متجسما ، ومكارم أخلاق قد حلت فاستحالت إنساناً كاملاً]

ولما مات حسن حسنى الطويرانى باشا رثاه الشعراء ، ولم يرثه أمير البيان شكيب أرسلان مع أنه رثى فارس الشدياق قبله ورثاه الشاعر الرقيق ولى الدين بك يكن بقصيده تبلغ سبعة عشر بيتاً قال فيها :

يا قبر عندى طية عرضت لمن استضفت فزحزح السترا .
قد كنت قبل اليوم أقصده أهدى إليه النظم والنثرا
لاتطرحنّ وإن ثوى «حسن» بعد المداغ فوقه الصخرا
أبكيك ما ذكر الورى أثراً ووعى الخلود لفاضل ذكرا
أبكيك ما جرت البراعة فى ميدانها واستطردت سطرا

والقصيدة فى ديوان ولى الدين يكن ص ٦٩ ؛ وفى البيت السابع منها نقص وصحته :

قال النعاة طوى الردى حسنا قلت اندبوه فقد طوى الدهرا

وبعد هذا البيت بيت ثامن لم يرد فى الديوان ؛ والتصويب عن الكونت فيليب طرازى . وهو :

وطوى الطبيعة بعده وطوى ما بعدها حتى طوى النشرا

* * *

هذه لمحة خاطفة عن حياة حسن حسنى الطويرانى باشا ، وفى العدد الآتى من الرسالة أرجو أن يتسع المقام لدراسة شعره بشىء من التفصيل .

محمد عبد الغنى حسن

نعيم الجنـــة

تأليف الأستاذ محمود قراعة المحامى

موضــوع شائك اختلفت فيه الآراء وتعددت فيــه الأقوال واشتد حوله الجدل والخلاف حتى تحاشى كثير من العلماء والمؤلفين طرقه والخوض فيه . لــكن المؤلف الشاب أقدم على طرقه مستمداً من الله العون ، ومن نبل غايته القوة ، محاولا أن ينير السبيل إليه وأن يلقى شيئاً من ضوء العلم عليه فتكلم فيه عن : نعيم الجنة ونصيب الروح والحواس منه ، روحية اللذات ، الصلة بين اللذتين الروحية والحسية ، مدى تمتع كل من الروح والجسد ، هل الجنة موجودة الآن ؟ المبشرون بالجنة ، من هم المتقون ؟ هل تدخل الجنة بعملنا ؟ نعيم الجنة فى القرآن ، وصف الجنة فى الحديث ، تصور العالم الثانى ، تصوير اللذتين الروحية والحسية فى الجنة الخ الخ .

طبعة ثانية في ١٨٠ . الثمن ٨ قروش
وللبريد قرشان
يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بالقاهرة

رحـــلات

عبد الوهاب عزام

صفحات من البيان الممتع سجل فيها الدكتور عبد الوهاب عزام ما رآه وما أوحت إليــه أسفاره فى البلاد العربية والاســلامية : (الحجاز ، والشام ، والعراق ، وتركيا ، وإيران)

وفى أوربا ، مع نبذ من تاريخ هذه البلاد ، وطرف من عواطفه العربية والاسلامية . وجعله فى أســلوب بليغ سهل يفيد ناشئة الأدب ويجدى على المتأدبين .

ويقع الــكتاب فى نحو ٤٠٠ صفحة تتضمن كثيراً من الصور وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد — ويطلب من مجلة الرسالة